

حقائق المخلق الإلهى

(بحث قرأنى خالص)

للدكتور حامد طاهر

---

— هل نحن مطالبون بمعرفة كيفية بدء المخلق؟

— نعم، ويأمر إلهى.

— ولماذا؟

— لكى نقف على طرف من قدرة الله الشاملة ،

وبالتالى نزرده وحده بالعبادة .

— وهل هنالك أسباب أخرى ؟

— أجل ، فالمخلق الإلهى إنما كان لحكمة ، ولم يكن عبثا أو صدفة على الإطلاق .

وأن المقصود منه هو الإنسان ، الذى جاء إلى الدنيا ليتم اختباره ، ثم بعد موته

يبعث ليلقى جزاءه على ما اعتقد من إيمان وكفر، وما فعل من خير وشر، فإما إلى

نعيم دائم ، أو خلود فى الجحيم .

الآيات الدالة على ما سبق :

(قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ المخلق) [العنكبوت، آية2]

(قل هل من شركائكم من يبدأ المخلق ثم يعيده) [يونس، آية34]

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات ، آية56]

(واسجدوا لله الذى خلقهن) [فصلت ، آية 37]

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه) [الأنعام، آية 102]

(إنا كل شء خلقناه بقدر) [المقمر، 49]

(أفحسبتم أننا خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) [المؤمنون، آية 115]

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) [آل عمران، آية 191]

(إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات

بالمقسط) [يونس، آية 45]

صفة الخلق الإلهي :

تعد صفة الخلق الإلهي أولى وأهم الصفات الإلهية ، وهى التى تؤكد قدرة الله

اللامتناهية على جميع الأكوان : السماوات والأرض وما بينهما ، وعالمى الجن

والإنس ، وخلق ما نعلم وما لنا نعلم . أما معنى المخلوق فهو الإيجاد من العدم ، أو

من مادة مخلوقة سلفا ، وكل منهما لا يقدر عليه إلا الله وحده ، كما أنه يتم بقدر ،

وله حكمة ، ومدة يقع بعدها بعث ، ثم خلُق جديد .

الآيات المداللة على ذلك :

(إن ربك هو المخلِّقُ العليم) [الحجر، آية 86]

(الله خالق كل شيء) [المزمر، آية 62]

( هو الله المخلِّق البارئ المصوِّر ) [الحشر، آية 54]

(ومن آياته خلق السماوات والأرض) [الروم، آية 22]

(خلق الإنسان من صلصال كالفخار) [الرحمن، آية 14]

(وخلق المجان من مارج من نار) [الرحمن، آية 14]

(إننا كل شيء خلقناه بقدر) [المقمر، آية 49]

(ويخلق ما لنا تعلمون) [المنحل، آية 8]

(بل هم في لبس من خلق جديد) [ق، آية 15]

الخلقُ الإلهي و آفاقه :

وترتبط صفة الخلق بالمشيئة الإلهية ارتباطا وثيقا . فالله تعالى لا يخلق إلا ما

يشاء . وأن خلقه للظواهر الكونية الكبرى لم يكن مرهقا بالنسبة إليه سبحانه

على الإطلاق ، وهذا يبين لنا قدرته أيضا على خلق الكائنات الصغيرة ، وامتداه

الصغر ! والأهم من ذلك هو إعادة ما خلق ، ومنه إحياء الموتى . وعلى الذين

يرفضون أو يعترضون أن يلقوا نظرة سريعة على نظام الكون ، وكواكبها الدائرة

بكل دقة في أفلاكها : هل يوجد بها أي خلل أو تفاوت ؟! إن المشركين الذين

يستنكرون خلق أنفُسهم لئلا يعلمون أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلقهم لو

كانوا يعقلون !

الآيات المدالمة على ذلك :

(يخلق الله ما يشاء والله على كل شء قدير)(المائدة، آية 17)

(وربك يخلق ما يشاء ويختار)(المقصص، آية 18)

(أولم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض ولم يعيى بخلقهن

بقادر على أن يحيى الموتى)(الأحقاف، آية 33)

(ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت)(المملك، آية 3)

(لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس لكن أكثر الناس

لئلا يعلمون)(غافر، آية 57)

المتحدى بالمخلوق :

ولما كان المخلوق أبرز صفات الله تعالى — كما ورد في القرآن الكريم — فقد جاء

المتحدى به كآية عظمى لنا يقدر عليها إلهنا الله تعالى ، فهو الذى خلق السماوات

والأرض وكل ما بينهما من جماد ونبات وحيوان ، وهو الذى أحسن خلقها ،

كما أنه هو المحافظ لها ، والذى يزيد فى المخلوق على نحو مستمر .

الآيات المؤكدة لذلك :

﴿مَّا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾[لقمان، آية 11]

﴿أَضْمِنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَّا يَخْلُقُ﴾[المنحل17]

(والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون)(المنحل، آية 2)

(أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن المخلقون)(الوقعة، آية 59)

(أم خلقوا من غير شيء أم هم المخلقون)(الطور آية 35)

(ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما)(ق، آية 38)

(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين)(الأنبياء، آية 16)

(وخلق كل شيء فقدره تقديراً)(الفرقان 2)

(الذي أحسن كل شيء خلقه)(المسجدة، آية 7)

(خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم)(المتغابن، آية 3)

(إن الله يمسك السماء والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد

من بعده)(فاطر، آية 41)

(وما كنا عن الخلق غافلين)(المؤمنون، آية 17)

(يزيد في الخلق ما يشاء)(فاطر، آية 1)

الخلق ومدته :

مما يلاحظ أن السماوات والأرض من أكبر ظواهر الكون التي خلقها الله تعالى .

ويذكر القرآن الكريم أن عدد السماوات سبع ، بينما يورد الأرض غالباً مفردة ،

إلا في موضع واحد ، حيث يذكر أنها مثل السماوات سبع . أما خلق كل منهما فقد

استغرق يومين ( وهذا بالطبع من أيام الله التي أشار القرآن الكريم إلى أنها قد

تصل إلى ألف سنة أو خمسين ألف سنة من سنوات الإنسان ) . أما اليومان

الباقيان من الستة المذكورة في مدة الخلق ، فقد جعلهما الله تعالى لتقدير

الأقوات في الأرض ، وهذا مجاله واسع ، وأمثله لا حصر لها .

الآيات المؤيدة لذلك :

(الله الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام)(السجدة، آية4)

(ففضاهن سبع سماوات فى يومين)(فصلت، آية12)

(قل أئنكم تكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين)(فصلت، آية9)

(وقدر فيها — فى الأرض بعد خلقها فى يومين — أقواتها فى

أربعة أيام)(فصلت، آية10)

(ألم نجعل الأرض مهادا والمجبال أوتادا)(النبأ، آية7)

الخلق الإلهى فعل قصدى :

إن الخلق الإلهى — كما يؤكد القرآن الكريم — فعل قصدى . لا مكن فيه للصدفة أو

او العشوائية — كما تذهب إلى ذلك بعض النظريات العلمية المعاصرة — بل إنه

مقدرٌ منذ الأزل. وهذا التقدير مرتبط بمشيئة الله تعالى ، كما أنه سابق على

إيجاد الناس ، فلم يشهدوا خلق السماوات والأرض ، ولما خلق أنفسهم . وما

السماوات والأرض إلما جزء من أجزاءالمكون المشاسع ، لكنهما هما (المكان)

الذى تدورعليه حياة البشر وموتهم ، ثم إعادة إحيائهم وبعثهم إلى الحياة الآخرة

. ومما يؤكدده القرآن الكريم أن خلق المجن والإنس إنما تم بقصد عبادة الله الذى

خلقهم ، وهو الذى يحييهم ويرزقهم ثم يميتهم بعد ذلك ليعثهم بعد ذلك فى يوم

الجزاء المعادل .

الآيات الداعمة لذلك

(ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلما بالحق وأجل مسمى)(الروم، آية8]

(الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون)(الروم الآية1]

(ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولما خلق أنفسم)(الكهف، آية1]

(ربنا ما خلقت هذا باطلا)(آل عمران19]

(سيح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى) [الأعلى، آية 1، 2]

(هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) [فاطر، آية 3]

(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) [الذاريات، آية 51]

(ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شء فاعبدوه) [الأأنعام، آية 102]

(واسجدوا لله الذى خلقهن) [فصلت، آية 37]

لماذا كتبت هذا البحث ؟

أولاً : لكى يتبين المسلم حقائق الخلق الإلهى المستمدة بصورة مباشرة من

المقرآن الكريم ، ومنها يدرك العقلاء أن وجودهم المحالى ليس عبثا ، وأن الأمر

واضح تمام الموضوع : فالله الذى خلقنا سوف يميئتنا ثم يحيينا ويبعثنا فى يوم

معلوم ليحاسب كلا منا بمفرده على إيمانه أو كفره ، وعلى ما فعله فى هذه الدنيا

من خير أو شر .

ثانيا : الرد على نظرية الانفجار العظيم ، التى أصبح علماء الكون المعاصرون

والفيزيائيون والجيولوجيون والرياضيون .. إلخ مقتنعين تماما بها كتفسير كاف

لنشأة الكون . والنظرية (حسب العالم البلجيكي جورج لوميتير 1927) تقول : إن

الكون كان فى بدء نشأته عبارة عن كتلة غازية عظيمة الكثافة والملمعان والحرارة

ثم بتأثير الضغط الهائل الناتج من شدة الحرارة حدث انفجار عظيم فتق الكتلة

الغازية وقذف بأجزائها فى كل اتجاه فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرات .

وهنا ملاحظات :

1- النظرية لا تتحدث أو حتى تشير إلى من أحدث هذا الانفجار العظيم ؟ يعنى كأن

الأمر تم بدون مسبب .

2- أن ما تكوّن من فوضى الانفجار : هذا النظام الكونى المستقر ، والذى

يدور تبعا لخطة محكمة ، فكيف خرج النظام المحكم من الفوضى ؟

3- أن نشأة الكون مرتبطة بما هو موجود فى السماوات والأرض من مخلوقات

متنوعة ،والتي لم تنجح نظرية داروين فى تفسير بداياتها حتى الآن ؟

4- أن النظرية رغم ادعائها الصفة العلمية قد أهملت تماما الرجوع إلى ما ذكره

المقرآن منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام !

---

مصادر البحث :

المقرآن الكريم

المعجم المفهرس لألفاظ المقرآن : للمرحوم محمد فؤاد عبد الباقي

مجموعة تفاسير

د.حامد طاهر : — كتاب قوانين المقرآن

— نظرية خلق الإنسان في المقرآن (فصل في كتابنا :

الفلسفة الإسلامية ، وهو منشور بموقعي على الإنترنت)